http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1525) السنة السادسة - الخميس (4) حزيران 2009

الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

في العلاقات التضامنية للشعب الكردي

القسم السادس والعشرون

فلك الدين كاكه يي

الهجرات الكردية عبر العالم العربي والاسلامي:

منذ أول اتصال عربي كردي، دينياً وثقافياً وأجتماعياً، في عهد الرسول (ص) في المدينة بداية القرن الأول للهجرة، بدأت هجرات كردية، فردية وجماعية إلى اقاليم ومناطق عديدة إلى ماسمي فيما بعد بالعالم العربي والاسلامي. شرقاً وغرباً.

حالات أو عوامل الهجرة الكردية متعددة أهمها:

١- الهجرة من أجل العيش والبحث عن ظروف أفضل للعمل والنماء، كما هم الافراد والجماعات في أي مجتمع. اذ منذ ظهور الاسلام وجد الكرد أنفسهم جزءاً من عالم واسع يتيح لهم التنقل من مدينة الى أخرى، ومن اقليم الى آخر. ولو رسمنا خريطة العراق والدروب والمحطات التي مر بها مئات العلماء والمثقفين الكرد بحثاً عن العلم والمعرفة من كردستان إلى حلب ودمشق، والقاهرة وشمال أفريقيا، والمدينة ومكة والقدس والبصرة وبغداد والمدن الايرانية في الجزء الغربي من العالم الاسلامي، حتى المدن في الهند وباكستان الحالية وافغانستان وطشقند وسمرقند، وغيرها، وهي خرائط أو معلومات موثوقة في الآلاف من كتب الرحلات، من قبل الكرد أنفسهم ومن قبل كتاب عرب وفرس وترك... لو رسمنا كل هذه الطرق، وهو أمر ميسور طالما ان أخبار الرحلات موثقة بأقلام مؤرخين مشهود لهم بالأمانة والدقة في سرد الوقائع، لاكتشفنا كم هي العلاقات الثقافية والاجتماعية للكرد قوية ومتشابكة في عموم العالم الاسلامي، ومن ضمنه العالم العربي.

٢- انتشار الكرد في العالم القديم حيثما وصلت الجيوش الاسلامية منذ القرون الأولى للهجرة، ذلك ان الكرد لدى انضمامهم إلى العالم الاسلامي أصبحوا جزءاً في المؤسسات الادارية والعسكرية والثقافية، كذلك في شؤون المعمار والفن والموسيقى والتأليف والتعليم والزراعة والمهن الحرة (نظراً لأضطلاع الكرد بمهن وصناعات يدوية معينة دون غيرهم مثل السجاد والغزل والنسيج وحياكة الاحذية الشعبية وبعض الادوات المنزلية والطبابة... الخ!

بمعنى آخر تحول الكرد، مثل بقية الشعوب إلى أعضاء نافعين في المجتمع، يتبادلون الخبرة والمعلومات والتعليم مع غيرهم، سواء من العرب أو الفرس أو الترك وغيرهم.

الكرد وصلوا، ضمن الجيوش الاسلامية الى اقصى الغرب والشرق:

لذا وصل الكرد الذين انخرطوا في الجيوش، في مختلف العهود، إلى ابعد ما وصلته هذه الجيوش من الاندلس وشمال افريقيا غرباً (حيث مازالت تعيش عوائل كردية في المغرب وتونس والجزائر)، حتى حدود الهند والصين شرقاً (توجد أقليات وجاليات كردية في الصين اضافة الى باكستان وافغانستان والعديد من دول آسيا الوسطى والقفقاز).

٣. في عهد الدولة الايوبية اتخذت هجرات الكرد الطوعية ضمن القوات العسكرية الايوبية زخماً أوسع. فالمعروف رغم ان بعض المثقفين والقوميين الكرد يرفضون قبول الدولة الأيوبية «دولة كردية»، اذ يأخذون عليها انها لم تحاول اتخاذ أي طابع كردي معين، رغم ان مؤسس الدولة وقادتها وأمراءها والقسم الاكبر من جيوشها هم من الكرد، لاسيما كرد ديار بكر (آمد) والجزيرة وبوطان، وأطراف الموصل وسنجار وأربيل وغيرها، هذه المناطق التي كانت تشكل احتياطياً دائمياً للمؤسسة العسكرية الايوبية. فما زال الجدل دائراً بين الكرد أنفسهم حول تقييم وتسمية الدولة (أو بالاحرى الامبراطورية الايوبية).

الدولة الايوبية كردية الطابع والسمات:

أنا من القائلين بانها دولة كردية، بمعنى انها، مثل الدول الأخرى منذ عهد الامويين، على اساس عائلة أو قبيلة واحدة تقود. فقادة الدولة الايوبية اضفوا طابعهم الكردي على الجوانب الاساسية في هذه الدولة (بالطبع ليس شبيهاً بالطابع القومي المعاصر للدول)... فكانت الدولة الايوبية كردية بنمطها الخاص. اذ كان معظم قادة وامراء العسكر والادارة والقضاء والصحة وغيرها اكراداً أقحاحاً يتحدثون بالكردية وكانوا أحياناً يتزيون بملابس كردية. وتشير كتب الاوروبيين، الذين كتبوا عن صلاح الدين الايوبي والدولة التي أستمرت حوالي قرن ونصف، أكثر مما كتبه الكرد أنفسهم والعرب والترك والفرس عن هذا القائد المسلم الكبير للشرق الاسلامي في عصر عصيب وحاسم في خضم قيادته للشعوب المسلمة ضد غزو الجيوش الاوروبية من أنكليزية وفرنسية والمانية وغيرها، لبلدان الشرق، تحت لواء الديانة المسيحية، لذلك عرف التأريخ العربي والاسلامي الحملات العسكرية الشديدة للجيوش الاوروبية بالحملات الصليبية (نسبة الى رمز الصليب المسيحي).

ولما كان حديثنا هو عن الهجرات الكردية فنشير الى ما نقلته كتب التاريخ منذ ٨٠٠عام (بداية الدولة الايوبية) حول وصول القادة والجنود والقضاة الكرد، عبر الجيش الايوبي، إلى كل اقليم أو مدينة أو بلد وصلته هذه الجيوش، ويمكن هذه الايام العثور بسهولة على الاصول القومية الكردية للكثير من العوائل والمجموعات السكانية المتفرقة في كل مكان: في اليمن وفي صنعاء بالذات، في عمان العاصمة الاردنية، في القدس والعديد من المدن الفلسطينية، في الشام وحلب وحماه وغيرها في سوريا، في القاهرة بالذات ومناطق مصرية أخرى، في السودان وفي شمال أفريقيا كما قلنا. بعض العشائر الكردية هجرت في فترات اخرى الى ليبيا مثلاً، وما زال في بنغازي حيٌ باسم حي الاكراد.

لم يتحكموا بأسم العنصر الكردي:

لا استطيع تنزيه أمراء وحكام الدولة الايوبية ومسؤوليها حيثما كانوا، او تبرئتهم من كل شيء، او الادعاء بانهم كانوا ((أعدل الحكام والاداريين)). فهم من طينة البشر، ولهم وعليهم ما لكل المجتمعات البشرية، وقد تتطلب حماية الدولة ومؤسساتها ومصالحها ارتكاب اعمال قمع وبطش احياناً لمواجهة الخصوم. هذا هو ديدن الدول والحكومات منذ فجر التأريخ. اذ تنشأ مصالح و((مقدسات)) لكل دولة تنشأ ولكل سلطة حكومية فيها. فالدولة منذ ظهورها عبارة عن مؤسسة اجتماعية اقتصادية قانونية تتضمن في ذاتها طابع القسوة والعنف والقمع. الدولة هي القمع مهما كانت ديمقراطية وعادلة، حسب ادعائها. فلم توجد دولة خالية من مظاهر القسوة والأضطهاد للآخرين.

إنما ذلك يختلف من دولة الى أخرى. فالدولة في عهد خليفة مثل عمر بن عبد العزيز قد تكون اصون شراً وضرراً ازاء المخالفين.

أما الجانب الايجابي في الدولة الايوبية فهو أنها لم تتحكم بأسم الكرد أو لصالح الكرد وحدهم، وان كانت بعض حكوماتها المحلية قاسية مع أية معارضة. وربما ان أولئك المثقفين والقوميين الكرد ينتقدون هذا الجانب الايجابي، فيتمنون أنه لو كانت السياسة الايوبية سلبية، بمعنى آخر أنهم يهجونها لأنها لم تركز على هويتها الكردية ولم تتعال على الآخرين باسم العنصر الكردي، في حين انني –حسب تقييمي الشخصي– ان سكوت الايوبيين عن هذه النزعة القومية (قد وجدت آنذاك، مع ادراكي انها لم توجد هكذا)، وتواضعهم ومحاولتهم بناء جسور التعايش السلمي مع بقية الشعوب في البلدان والاقاليم التي خضعت لسلطانهم السياسي والعسكري من العراق الحالي وسوريا ومصر واليمن شرقا حتى اقصى شمال افريقيا غرباً.

كل دولة، في العصور القديمة، كانت تتميز بطابع شخصية المؤسس أو القائد والزعيم السائد. فقد كان صلاح الدين الايوبي، حسب مايذكره خصومه الاوروبيون قبل المسلمين، كان عالماً دينياً ورعاً، وانساناً متواضعاً يحترم حتى خصومه، كما هو موقفه من المعالجة الطبية لخصمه الانكليزي العنيد ريتشارد قلب الاسد، وعرف أيضاً بالتسامح والعفو بسرعة عن آلاف الاسرى من الجيوش الاوروبية، كذلك كان يتعامل برفق وود وتسامح مع المسيحيين واليهود، السكان الاصليين في فلسطين وبقية الاقاليم، فلا يذكر التأريخ واقعة واحدة عن الاعتداء على هؤلاء وانتهاك حرماتهم. بل ان صلاح الدين، بعد فتح القدس، سمح اولا بعودة المسيحيين واليهود، من السكنة الاصليين فيها، الى المدينة قبل المسلمين. ورغم ان صلاح الدين كان شافعي المذهب فانه دافع عن الفاطميين أيضاً وهو في بداية حكمه في القاهرة، ولم تقع في عهده انتهاكات بحق الفاطميين إلاّ فيما بعد، حينما علم أهل القاهرة ان بعض الفاطميين متورطون في بعض أعمال الكيد والتآمر ضد السلطة الجديدة.

هذا التعامل الودي المسالم أفضل تراث تركوه لنا:

لم يكن هناك ثمة حاجة الى القهر والفرض والقسوة فالناس في هذه الاقاليم تقبلوا الايوبيين بسهولة، لأنهم كانوا يعرفونهم من قبل. فالوجود الايوبي في العراق والشام ومصر بدأ في وقت مبكر، اشتدت الحاجة اليهم كلما اوغلت الجيوش الاوروبية في الغزوات والحملات العسكرية التي كانت ضد السكان الاصليين كافة حتى المسيحيين من الشرق الذين هجرتهم الجيوش الاوروبية.

وكانت القوات الايوبية ورجال الادارة والقضاء في دولتهم تشكل اقلية صغيرة جداً من مجتمعات كبيرة للسكان الاصليين، فلم يكن التحكم فيهم باسم العنصر القومي ممكناً ولا ضرورياً اصلاً.

فالايوبيون استطاعوا في وقت مبكر اقامة علاقات حسن النية والثقة مع السكان المحليين.

ومهما كانت الاسباب فإن التعامل الانساني الودي المسالم غالباً من قبل صلاح الدين الايوبي نفسه خاصة وبقية القادة والأمراء الحريصين على الالتزام بتوجيهاته وسياسة المسالمة الطبيعية مع السكان الاصليين، أقول ... ان هذا التعامل هو اجمل وافضل تراث تأريخي ثقافي اجتماعي تركه لنا صلاح الدين ودولته، فهو بالطبع تراث افضل جداً، بما لا يقاس، فيما لو برز مثلاً ايوبيون كانوا يتحكمون باسم العنصر القومي الكردي (ولماذا اصلاً؟!) ويتعالون على هؤلاء الناس البسطاء الطيبين. لو وقع شيء مثل هذا لكان علينا اليوم ان نشعر بالخجل والعار من أسلافنا بدلاً من الاعتزاز بتأريخهم الذي هو تأريخنا.

فإذا كان المثقفون الكرد يعتبرون هذا التعامل، وكذلك الدفاع الشجاع عن حياة وممتلكات هذه الشعوب، سمات رئيسية للدولة الايوبية فإنه احسن وصف وتقييم لدولة اسسها وقادها كرد (لايختلف احد معنا حول اصلهم الكردي)... وهذا يكفي.

ففي رأيي ان هذه الدولة كانت دولة كردية، لو قسنا الامور ببعضها حيث ان الدولة الاموية والدولة العباسية وغيرها لم تتاسس على اسس قومية عربية، بل اسستها، مثل الدولة الايوبية، عوائل معينة، اسمها طغى على اسم الدولة. تلك كانت خصائص تشكيل الدول في القدم، فكل الدول في اليونان والعراق القديم ومصر وغيرها معروفة ومسجّلة باسم العوائل التي اسستها. وأما طابعها القومي أو العنصري فهو غالباً من اختراعات الاجيال الحديثة للشعوب، التي تبحث عن جذور قديمة لهويتها الثقافية والقومية.

محمد حسنين هيكل..دعوة لفضح مراثي الأسرار

علي حسن الفواز

كثيرون هم الذين يعرفون محمد حسنين هيكل، واقل منهم من يعرف ان هيكل كان اكثر من صحفي واقل من مسؤول سياسي، وهذه المنطقة المراوغة المباحة الصلاحيات، منحته قدرته في التلصص على كل الامكنة السياسية والعسكرية والثقافية وحتى الامنية، مهارته و(شطارته) اعطته فرصة استثنائية لتجاوز صلاحياته (الصفية)و(الاعلامية) كرئيس تحرير لجريدة الاهرام ليكون مسؤولا ولو بشكل خفي عن صياغة الكثير من المواقف والاجتهادات السياسية الداخلية والخارجية الخاصة بتوجهات العقل السياسي المصري في مرحلة الستينيات، وربما رسم بعض اسرار طريق التحرير لسياسة جمال عبد الناصر.

هذا الركام من الادوار، والتعدد في المسؤوليات، والغموض في المرجعيات، جعلته فيما بعد وجها مثيرا، لكنه مقبول ومشروع، لانه العارف في الكثير من (ازمات وخفايا) الماضي السياسي والامني للدول والجماعات والافراد، والمهني في تلمّس خفاياها واشتغالاتها واسرارها، تتهافت عليه وسائل الاعلام لاستكتابه او توظيفه كوجه تلفزيوني، لانه المطلع بعمق على الكثير من الشجون والشؤون، والقريب من مطابخ الرؤساء وقادة الامن والسياسة والاقتصاد والعسكر، يتحدث بطريقة مثيرة ولبقة، يملك تحت يديه ارشيفا هائلا من المعلومات، قد يكون بعضها سريا جدا، وربما يكشف عن الكثير من اليوميات السرية للسياسة العربية والسياسيين العرب او صناع المحن السياسية العرب بمعنى ادق..

الحالة العراقية واحدة من اسرار هيكل العميقة، واقصد هنا الحالة السياسية العراقية بدءا من اوائل الخمسينات والى عام٢٠٠٣ ، هو يعرف الكثير عن ملفات يومياتها واسرارها وعقدها، مثلما يعرف الكثير عن تفاصيلها ومؤمراتها وطبخاتها وتحالفاتها، وربما كانت له علاقة مع بعض رجالاتها وحتى مع بعض صنّاع عقدها الامنية والخارجية، ليس لانه كان قريبا جدا من الرئيس جمال عبد الناصر صاحب الحظوة القومية في زمنه ومستشاره الاعلامي الخاص، والقريب من احلام القوميين العرب، بل لانه كان يملك حساسية الباحث عن الاسرار، والعارف ببواطن ما فعله البعض من السياسيين العرب والعراقيين بشكل خاص، وما تورطوا فيه بدءا من نكبة فلسطين مرورا بازمة العراق ذاته بعد ١٩٥٨ ونشوء دولة الرعب عام ١٩٦٣ تلك الدولة التي جاءت تحت ايقاع التوهمات القومية، والحديث الطويل عن خفايا استعراضيات(التوحد) العربي ورومانسياته في تصنيع الوحدة مع العراق وسوريا، فضلا عن حروب السودان واليمن وظفار وفلسطين وغيرها من تفاصيل(امنية مخابراتية عسكرية ايديولوجية طائفية) اكثر عمقا لكنها اقل حضورا، بل لان هيكل تصرف ازاء كل هذا بحيوية وحساسية محترفي الصحافة والسياسة البرغماتيين، واظنه في هذه الحسابات كان اكثر حرصا على زوايا وملفات الارشيف واسراره، اذ هو يحفظه احيانا عن ظهر قلب، وربما يحتفظ بنسخة من كل وثيقه الى ارشيفه الشخصي.

الحديث عن الحالة العراقية يحتاج الى زمن طويل من الاضاءات والى غابة من المسؤوليات التي يمكن ان تفرش الكثير من التفاصيل، فضلا عن حاجتها الى موقف اخلاقي شجاع يتجاوز العقد والحساسيات، لفضح وكشف كل تاريخ تشكل محنة السياسة العراقية بكل مؤامراتها وطبخاتها وخيوطها والتي كثيرا ما كانت تحاك في عواصم عربية. ولعل هيكل واحد من الذين يملكون امتيازات نبش هذه الحالة والكشف عن وقائعها ومعطياتها، خاصة وانه يملك الوثائق والمعلومات واسرار الزيارات والصفقات، وبالاتجاه الذي يبدو الان لازما وضروريا بعد انتهاء زمن المراكز السياسية العراقية العاتية والتي ارتبطت بازمة الخطاب العربي منذ عشرات السنوات، مقابل ولادة زمن اخر لانماط جديدة من الثقافات والعسكرة التي يعرف هيكل الكثير من اسرارها، تلك التي ترتبط بشراهة الارهاب الفقهوي واجتهاداته التي لم تكن غائبة عن ازمات السياسة العربية وخنادقها الخلفية، لان هذا الارهاب لم يأت من فراغ تماما، انه جزء من عقد وازمات قديمة ارتبطت بالتحالفات والاصطفافات وحتى ما يسمى بالثورات الوطنية..

ان دخولنا عصر ما بعد(الدخول الامريكي) الذي ما كان ليحدث لولا تراكم الاحزان والجروح في الجسد العراقي، وحجم العطالة العربية التي تركت الطغيان ينمو حدّ ابتلاعه الجيران والاصدقاء، فضلا عن عزوف (الاجندة العربية) ذاتها عن فتح الارشيف السياسي بكل اسراره لكي يعرف الناس من كان يصنع محنتهم وانكساراتهم، ومن كان يطبخ المؤامرات الدامية على حسابهم.

هيكل الذي يستعرض ارشيفه الخاص في قناة الجزيرة مع تقديم قراءته(السسيوسياسية) التي يؤسسها طبعا على وعي ومعلومات ارشيفية، تنوش الحالة العراقية عن بعد، هو لايريد ان يحرق كل الاوراق، لان حرقها يعني حرق البعض، ولانه ايضا خلط الاوراق على الكثير من الذين يتشدقون بدعم القوى المناهضة للحالة العراقية، هيكل كما قلنا يملك الكثير من المعلومات وبالوثائق، مطالب الان وسط هذه الحرائق بفتح هذه الملفات، والتي لاتعني الغاء حساباته مع الاخرين الذين يريدون من هيكل وجهه المعلوماتي الاعلامي، وليس وجهه الاخر العارف ببواطن الامور وخباياها، بقدر ما تعني(التعرّف) على اصل المشكلة واصل جذورها العربية ودور رجالات السياسة في انتاجها، اولئك الذين يتفرج من بقي منهم حيا بعد حرق كل ملفاته على محنتنا العراقية، او ربما يضع تاريخ هذه المحنة خارج التاريخ، وكأن الماضي غير مسؤول وان ابناء هذا الزمن هم المسؤولون الوحيدون على محنة العراق.

في كتبه عن اسرار حرب ١٩٦٧ كتب عن تفاصيل اثارت الرعب لدى البعض، رغم ان اغلب من تحدث عنهم كانوا موتى، لكن هؤلاء الموتى لديهم احياء يتحركون بذات الخطاب، واظن ان هيكل يعرفهم جيدا ولديه كل الوثائق التي من شأنها ان تضعهم امام الضوء تماما، كما كتب عن اسرار حرب ١٩٩١ وكشف عبر العديد من الوثائق اسراراً لم يطمئن لها كثيرون، لكنها ايضا تظل(شفرات) لاسرار اكبر..

انها دعوة للاستاذ محمد حسنين هيكل لتبرئة ذمته من تاريخ يبدو رومانسيا لكنه دام في اعماقه، ضحاياه كثر من اوطان وبشر وثقافات وقيم وجبهات.

الرشوة بين المضمون والمفردات

مهدي زاير جاسم

ان المفهوم العام للرشوة في مجتمعنا والمعروف على انه مال نقدي غير مشروع يتم تداوله بين طرفين معنيين بغية تسهيل امر ما، او جلب منفعة غير شرعية او استغلال نفوذ. اذ ان هذا التعريف لم يعد هو المعبر الحقيقي لهذه الكلمة بل تعداها الى ظهور تسميات او مصطلحات تحت عدة عناوين او ابواب مثل دفع المعلوم التي بمعناها العامي (ديربالك علينه) او التماس الأكرامية (لعب ايدك) او ارسال هدية (لا تنسانا).

ومما تقدم فانها اصبحت عناوين لخطاب متوارث من مخلفات الماضي الأليم، اما اليوم اصبح نوعاً من الشطارة وحسن التصرف وتدبير الحال لكن المسميات العلمية لها هي (العمولات، النسب المئوية، البزنس).

وهي بهذا المفهوم الحديث اضحت مصطلحات مهنية (محترمة) ومعترفاً بها وتستخدم علناً في شركات القطاع الخاص، وصارت اليوم من سمات الأقتصاد الحر والعاملون في مجالاتها الذين هم بتماس مباشر مع موظفي القطاع العام اصبحوا يجاهرون بتأديتهم لهذه الخدمات والتسهيلات تماشياً مع روح العصر الحديث على اساس انها تدر عليهم اموالاً كثيرة، ومن الطرائف ان الموظفين الذين لا يستفيدون من هذه المنافع، ومن باب تأمين حصتهم المشروعة، وغير المشروعة عدلوا اشرعتهم واتخذوا من المواطن رب عمل جديد لهم وهو من باب المرغم على التعامل معهم، فسعوا الى استرضائه وتسهيل مهامه على وفق صلاحياتهم، بغية الحصول على منافع منه لقد وصل الحال الى المجاهرة بها بعد ان كانت في وقت قريب من باب الهمس، وسقطت عنها تهمة المال الحرام او صغائر الذنوب وباتت تندرج تحت عناوين (الفهلوية) و(الشطارة)، وهي مفردات مخففة لكلام يومي يجري تداوله داخل أروقة المؤسسات الكبيرة والصغيرة.

ومن باب معالجة هذه الظاهرة يجب التمعن بدراسة عناصرها، وتحليل تداولها اللغني ودراسة الأسباب التي أدت الى ذلك، وحين نقوم بدراسة المفردات والتفصيلات لهذه الظاهرة نجدها تتألف من ثلاثة عناصر رئيسية لقيامها وهي (الراشي) وهو الذي يدفع المال لقضاء مصلحة شخصية (والمرتشي) هو الموظف العمومي الذي يأخذ المال لقاء انجاز عمل معين، و(الوسيط) وهو المحرض او المتصل الذي يشكل البيئة الحاضنة المنتجة في مختلف مستوياتها ومضامينها وصيغها المتجددة على الدوام، وان السكوت عنها وعدم معالجة اسبابها والتمعن في نتائجها ومساءلة القائمين بها، مع وجود خطابها الأعلامي الذي يفضي الى تداولها اليومي وتقبل حضورها التدريجي قد يؤدي كل ذلك الى ترسيخها اضافة الى الأباحة الكلامية لها وحولها وتحول ابطالها او رموزها الى نجوم حقيقيين يشار اليهم بالبنان لتصبح هذه الظاهرة بحكم المقبولة.

اراء وافكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:

١. لا يزيد عدد كلمات المقالة على ٧٠٠ كلمة.

٢. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة ومرفق صورة شخصية له.

٣. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@ yahoo.com